وكذا لم يقل يا ارض ابلعي ماءك فبلعت ولم يقل يا سماء اقلعي فاقلعت اختصارا وغير ذلك بان قدم
النداء على الامر فقيل يا ارض ابلعي ويا سماء اقلعي ولم يقل ابلعي يا ارض واقلعي يا سماء وقدم امر
الارض على امر السماء وابتدأ به لابتداء الطوفان منه وفي الاية ايضا من الفصاحة المعنوية وهي كما ترى
نظم للمعاني لطيف وتادية لها ملخصة مبينة لا تعقيد يعثر الفكر في طلب المراد ولا التواء يشكك
الطريق الى المرتاد ومن الفصاحة اللفظية فالفاظها على ما ترى غريبة مستعملة سليمة عن التنافر
بعيدة عن البشاعة عذبة عن المذبات سلسة على الاسلات كل منها كالماء في السلاسة وكالعسل
في الحلاوة وكالنسيم في الرقة وكالمصباح في الزجاجة ومن ثمه اطبق المعاندون على ان طوق
البشر قاصر على الاتيان بمثل هذه الاية ولله در شان التنزيل لا يتامل العالم اية من اياته
الا ادرك لطايف لا يتسع الحصر ولا تظن الاية مقصورة على المذكور فلعل المتروك اكثر من المسطور
والله اعلم باسرار كتابه قوله **وَغِيضَ الْمَاءُ** اى نقص وذهب وهذا اخبار عن حصول المامور به
وَقُضِيَ الْأَمْرُ اى فرغ من الامر وهو هلاك قوم نوح يعني وانجز ما وعد من اهلاك الكافرين
وانجاء المومنين **وَاسْتَوَتْ** اى استقرت السفينة **عَلَى الْجُودِيِّ** وهو جبل بالجزيرة بقرب الموصل
على الاصح وفي الاماني والقول بانه جبل بالشام ابا مل او بكذا ليس له اصل قال السيوطي هو جبل
من جبال الجنة يزوره مشايخ الاكراد وهو لهم كاحد لاهل المدينة وابي قبيس لاهل مكة وقد ذكرنا
بانه قطعة من الطور واخرج ابن جرير وابن ابي حاتم وابو الشيخ عن مجاهد قال الجودي جبل بالجزيرة
تشامخت الجبال يومئذ من الغرق وتطاولت وتواضع هو لله فلم يغرق فارست عليه سفينة نوح
وكان شيخنا يقول في هذا الجبل المبارك قبر نوح واصحابه وفيه مسجد وقريته المسماة بثمانين فيه
قبر ادم لما ذكرنا بان نوحا حمله معه وهو بقرب قريتنا يعني د لكان لكن ما اتفق لنا زيارته ولكن
الله عوضنا خيرا منه حيث جعل قرارنا ببلدة بنية طيبة الطيبة صلى الله على ساكنها وعلى جميع
اخوانه من الانبياء والمرسلين بعدد ما عنده من العدد والمدد في كل لحظة من الازل الى الابد
ولنرجع الى المقصود واخرج احمد وابو الشيخ وابن مردويه عن ابي هريرة قال مر النبي صلى الله عليه وسلم
باناس من اليهود وقد صاموا يوم عاشوراء فقال ما هذا الصوم فقيل هذا اليوم الذي نجى الله
فيه موسى وبني اسرائيل واغرق فيه فرعون وهذا يوم استوت فيه السفينة على الجودي
فصامه نوح وموسى شكرا لله فقال صلى الله عليه وسلم انا احق بموسى واحق بصوم هذا اليوم فصام
وامر اصحابه بالصوم قال السلطان روي ان نوحا ركب السفينة عاشر رجب ونزل عنها عاشر
المحرم فصام ذلك اليوم وصار سنة وفي تفسير ابن خازن وروي ان نوحا عليه السلام ركب
السفينة لعشر بقين من رجب وجرت بهم السفينة ستة اشهر ومرت بالبيت الحرام وقد
رفعه الله من الغرق وبقي موضعه فطافت السفينة به سبعا واودع الحجر الاسود جبل ابي
قبيس وهبط نوح ومن معه من السفينة يوم عاشوراء فصامه نوح وامر جميع من معه بصيامه
شكرا لله وبنوا قرية بقرب الجبل فسميت سوق ثمانين فهي اول قرية عمرت بعد الطوفان
وقد اشرنا الى بعض ما ذكرنا ههنا فيما قبل ولكن رايت هنا زيادة بعض الكلمات فكتبنا وقيل انه

لم ينج

لم ينج احد من الكفار من الغرق غير عوج بن عنق وكان الماء يصل الى حجزته وسبب نجاته
من الهلاك ان نوحا عليه السلام احتاج الى خشب ساج لاجل السفينة فلم يمكنه نقله فحمله
عوج من الشام الى نوح فنجاه الله من الغرق لذلك وقد تقدم قريبا بحث الساج على غير هذا
المنوال فراجعه فان قلت كيف اقتضت الحكمة الالهية والكرم العظيم اغراق من لم يبلغ الحلم
من الاطفال ولم يدخلوا تحت التكليف بذنوب غيرهم قلت قد ذكر بعض المفسرين ان الله عز وجل
اعقم ارحام نسائهم اربعين سنة فلم يولد لهم ولد تلك المدة وهذا الجواب ليس بقوي لانه
يرد عليه اغراق جميع الدواب والهوام والطير وغير ذلك من الحيوان ويرد عليه ايضا هلاك
اطفال الامم الكافرة مع ابائهم غير قوم نوح والجواب الثاني عن هذا كله ان الله تعالى متصرف في خلقه
وهو المالك المطلق يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وجواب اخر ان الله تعالى
علم بانه لو لم يعقم ارحام نسائهم ما يحصل منهم الا الكفار كما قال ولا يلدوا الا فاجرا كفارا **وَقِيلَ**
بُعْدًا يعني هلاكا **لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** اى الكافرين ولم يصرح بالفاعل مسلوكا سبيل الكناية لان هذه
الامور لا يتاتى الا من قدير قهار فلا مجال للذهاب الوهم الى غيره ومثله في صدر الاية ليستقل من
ذكر الفعل وهو اللازم على الفاعل وهو الملزوم وهذا شان الكناية قوله تعالى **وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ**
اى ناداه ودعاه وساله او اراد ان يدعوه بدليل فاء العاطفة في قوله **فَقَالَ رَبِّ إِنَّ**
ابْنِي كنعان **مِنْ أَهْلِي** يعني وقد وعدتني ان تنجيني واهلي قال الشيخ اى اهلي الذين وعدتني
بنجاتهم في ضمن الامر بحملهم او النداء على الحقيقة والفاء لتفصيل ما فيه من الاجمال **وَإِنَّ وَعْدَكَ**
الْحَقُّ اى الصدق الذي لا خلف فيه يعني ان كل وعد تعده حق لا يتطرق اليه الخلف وقد وعدت
ان تنجي اهلي فما بال ولدي وحاله اغرق ام نجا او فما له لم ينج فيكون النداء بعد غرق ابنه
ويجوز ان يكون هذا النداء قبل غرقه فان الواو لا يقتضي الترتيب **وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ** لا حكم
فوق حكمك او انك اعلم الحكام واعدلهم اذ لا فضل لحاكم على غيره الا بالعلم والعدل او لانك اكثر
حكمة من ذوي الحكم على ان الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع ورب ذي باب غريق في الجهل والجور
والرشوة من متقلدي الحكومة في زمانك قد لقب اقضى القضاة ومعناه احكم الحاكمين فاعتبر
واستعبر **قَالَ** الله تعالى **يَا نُوحُ إِنَّهُ** اى هذا الابن الذي سالتني نجاته **لَيْسَ مِنْ**
أَهْلِكَ الناجين الذين عمهم الوعد او من دينك فهذا تذكير للاستغناء في قوله الا من سبق عليه
القول وانما نفى اهليته لقطع الولاية بين المومن والكافر وفي اللباب اختلف علماء التفسير هل كان
هذا الولد ابن نوح لصلبه ام لا فقال الحسن ومجاهد كان ولد خبث من غير نوح ولم يعلم به
فلذلك قال انه ليس من اهلك وقال محمد بن جعفر الباقر كان ابن امراة نوح وكان يعلمه نوح
ولذلك قال من اهلي ولم يقل مني وقال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك واكثر
المفسرين انه ابن نوح من صلبه وهذا القول هو الصحيح والقولان الاولان ضعيفان بل باطلان
ويدل على صحة قول الجمهور ما صح عن ابن عباس انه قال ما بغت امراة نبي قط ولان
الله نص عليه بقوله ونادى نوح ابنه ونوح ايضا نص عليه بقوله يا بني اركب معنا وهذا

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)